



## الإمام علي(ع) من منظور قرآني في كلام الإمام الحسن المجتبي(ع)

م. م. عبد الحي عبد النبي زبيك العبادي  
المديرية العامة لتربية البصرة

الملخص :

الكلمات المفتاحية: ((الإمام علي  
(عليه السلام) - الإمام الحسن  
المجتبي(عليه السلام) - تفسير  
نصوص قرآنية - الدلالة القرآنية -  
الوصف والتحليل))  
بسم الله الرحمن الرحيم  
المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة  
والسلام على أشرف الخلق  
 والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين  
 الطاهرين وأصحابه المنتجبين. إنَّ  
 مواقف أمير المؤمنين(ع) وسيرته  
 الغراء وهو يقتفي أثر النبي(ص)  
 وآله) في حركاته وسكناته، شكلت  
 محوراً رئيساً للحرب التي أضر بها

عند الاطلاع على كتب السير قد  
نتفاجأ من الشخصية التي يمكن  
أن تتبلور عنها كل من شخصية أمير  
المؤمنين(ع)، وولده الإمام الحسن  
المجتبي(ع)، والعلاقة بينهما، لذا  
ارتأينا أن نفهم تلك الصورة عبر  
دراسة الآيات القرآنية التي يفسرها  
الإمام الحسن المجتبي(ع)، ويوضح  
بوساطتها مدى العلاقة الوثيقة  
بينهما بما يدفع كل الشبهات التي  
نسجها الوضّاعون، وقد درسنا هذه  
النصوص دراسة تحليلية مستفيضة،  
مع إظهار بعض الجوانب الجمالية  
للنص في ضوء تحليل النص القرآني.

الأُمويون بوجه الإمام الحسن (ع) وأتون هذه الحرب لها جذور حاول النبي (ص وآله) استئصالها في حياته، ولكن الأمر كان صعباً جداً لشدة الحرب وضراوتها على الإسلام وعلى شخص النبي (ص وآله) وعلى أهل بيته (عليهم السلام)، مما حدا بالإمام الحسن المجتبي (ع) أن يكون خير مدافع عن الإسلام وعن أبيه أمير المؤمنين (ع)، عبر إظهار سيرته العطرة المزوجة بعبق النبوة وشذى الرسالة المحمدية، في حين كانت هناك محاولة لتدشين بعض الخلافات التي لا أصل لها على أنها من الخلافات التي عارض بها الإمام الحسن (ع) سياسته أبيه، خصوصاً في قضية الفتنة التي حصلت عند قتل الخليفة عثمان بن عفان، وموقفه بعد تلك الحادثة<sup>(١)</sup>، وبالتأكيد هذه التهم التي ألصقت بسيرة الإمام الحسن المجتبي (ع) لا يمكن قبولها بأي حال من الأحوال فهو الذي قال عنه رسول الله (ص وآله): ((أشبهت خلقي وخلقي))<sup>(٢)</sup>، وقد قال تعالى عن نبيه الأكرم محمد (ص وآله): (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم: ٤]).

اقتضت الدراسة أن تكون ضمن محاور أربع بحسب الشاهد القرآني ومضمونه وهي: المحور الأول جانب من عبادته وزهده، الثاني: السابق في الإسلام، الثالث: إيمانه وجهاده، الرابع: النشأة وبداية التصوير، إذ أن الدراسة لم تغفل الجانب الجمالي في اللغة عبر الدراسة الوصفية التحليلية وإظهار القيم الدلالية في الدرس اللغوي والبلاغي، فكان الهدف من البحث تعزيز الجانب الإسلامي الذي ينطلق من رسالة الوحي التي تربي عليها الأئمة الأطهار ومدى تجسيدها عند الشخصيتين العظيمتين في أمير المؤمنين وسبطه الحسن الزكي عليهما السلام. واعتمد البحث على هذه المحاور القرآنية التي جاءت بحسب الشاهد القرآني الذي يورده الإمام الحسن المجتبي (ع) في كلامه.

المحور الأول: جانب من عبادته وزهده :

كان المنطلق الذي سلكه الإمام الحسن المجتبي (ع) نبوياً في رصف الأحاديث والتذكير بالمواقف التي

أشاد بها النبي (ص وآله) بمناقب أمير المؤمنين (ع) قرانياً بتسليط الضوء على الآيات التي نزلت بمواقفه النبيلة، وخصاله السامية، وعبادته الخالصة، وزهده في الدنيا، وخير شاهد على ذلك قول الإمام الحسن المجتبي (ع) في المجلس الذي عقده معاوية بن أبي سفيان لإفحام الإمام الحسن (ع) فكان جواب الإمام بقوله: ((...أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله (ص وآله) حين حضرته الوفاة واجتمع عليه أهل بيته قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي، اللهم وال من ولاهم وعاد من عاداهم وقال: إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من دخل فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق؟ وأنشدكم بالله أتعلمون أن أصحاب رسول الله (ص وآله) قد سلموا عليه بالولاية في عهد رسول الله (ص وآله) وحياته؟ أنشدكم بالله أتعلمون أن علياً أوّل من حرم الشهوات كلها على نفسه من أصحاب رسول الله، فأنزل الله عز وجل: **حَيَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ**

وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) **وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ** [المائدة: ٨٧-٨٨]) (٣).

هذه الآية المباركة يا (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ) التي ذكرها الإمام الحسن المجتبي (ع) تشير إلى سبب نزولها، وقد أشار إليها العلماء في معرض بيان شدة عبادته وعقده العزم على أن لا ينام الليل أبداً إلا ما شاء الله، ولا شك ولا ريب في سمو عبادة أمير المؤمنين (ع) وكثرتها، وما أثر في أدعيته ومناجاته هو دليل على شدة التعالق النفسي والعبادي مع شخصية النبي الأكرم (ص وآله) قال تعالى: طه (١) **مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** [طه: ١-٢]، فكان يقتفي أثر النبي في العبادة والفكر والخصال.

إنّ التعبير القرآني يوحى إلى نوع من الإقرار والتسليم بالأوامر والنواهي التي جاء أمر الله سبحانه وتعالى بها، والطيبات من اللذائذ التي تشتهيها النفوس وتميل إليها القلوب في إطار ما أحلّه الله لعباده وسنة نبيه (ص

للمضمون الإرشادي في هذه الآية الكريمة قد يسلط الضوء على الجانب الإيجابي في اختيار أمير المؤمنين (ع) الجانب العبادي في التقرب إلى الله وهو بلا شك ولا ريب أفضل من الأمور الحسية التي أراد بعض الصحابة أن يجنحوا لها ويمتنعوا عنها، فالردود الإيجابي للأمور العبادية بَيْنَ المعالم، سهل المسالك، يقود إلى الكمالات النفسية والعقلية، فالعبادة تعطي النفس قوة مضافة لقوة البدن، وكلما كانت النفس أقوى قويت بذلك الخصال الحسية أيضاً، ومن هنا يمكن أن نؤسّس إلى أن النهي الواقع في هذه الآية المباركة يضع حداً وضابطاً للملاكات الحسية في الإنسان لعدم التعدي على حدود الله لما رسمه لعباده على نحو الإرشاد، أما ما اختاره أمير المؤمنين في الأمور العبادية فهو مستحسن بذاته لما أشار إليه الإمام الحسن المجتبي (ع) في مقام المدح وعلو الهمة في السلوك إلى الله تعالى.

إذن المقام الذي وظف الإمام الحسن (ع) فيه خطابه القرآني جاء

وآله) في شريعته؛ لئلا تتداخل الأمور وتتشابه الأحوال على المسلمين بما كان يصنعه القسيسين والرهبان الذين حرّموا على أنفسهم النساء، والمطاعم الطيبة، والمشارب اللذيذة، وحبّس في الصوامع بعضهم نفسه وهو ليس من الدين في شيء في حال عدّت هذه الأمور من تعدي الحدود التي رسمها الله لعباده، لذا نلحظ من الصحابة من رامّ الصيام الدهر لله، وآخر أراد اعتزال النساء، وهذه الرهبانية المفرطة في الاحتراز عن الطيبات واللذات ربما يوقع الضعف في الأعضاء الرئيسة في القلب والدماغ وإذا وقع الضعف فيهما اختلت الفكرة وتشوش العقل وهو ما لا يريده الله لعباده، هذا من جهة الإفراط والتعدي على حاجات الإنسان الضرورية وهي بلا شك يقع النهي فيها ومن هنا جاء التوجيه الإرشادي من الله لعباده الصالحين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ لِيُرْسِمَ لَهُمْ حُدُودَ الطَّاعَةِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ.

وفي إشارة الإمام الحسن المجتبي (ع)

في بيان مناقب أمير المؤمنين (ع) أمام خصومه وأعدائه الذين امتازت حياتهم بالتحلل والتسافل؛ لافتقادهم أبسط مقومات الإسلام ومصاديقه، وبهذا المعنى جاء خطاب الإمام الحسن (ع) متساوياً مع مقام المدح في ذكر سبب نزول هذه الآية المباركة *حَيَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ، مَتَحَاشِيَ الْوَلُوجِ فِي تَأْوِيلَاتِ هَذِهِ الْآيَةِ وَتَفْسِيرِهَا، لِذَا اكْتَفَى بِسَبَبِ النُّزُولِ شَاهِدًا عَلَى عَظِيمِ مَنزَلَتِهِ وَتَفَانِيهِ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَعَبَّرَ عَنِ الطَّيِّبَاتِ بِالشَّهَوَاتِ لكونها مما تهفو إليها النفس وترغب فيها.*

إن دلالة الطيب تصبُّ فيما تطلبه النفس وترغب فيه وليس فيه قذارة ظاهرة، أو باطنة<sup>(٦)</sup>، سواءً أكانت في الأمور المادية أم المعنوية، وهذا المقام الإرشادي في التحريم على نحو الاجتناب عُدَّ منقبة من مناقب أمير المؤمنين (ع) ورياضة من رياضات نفسه العظيمة التي صرح عنها في كلامه إذ يقول: ((ألا وإن لكل مأموم إماماً يفتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى

من دنياه بطمريه<sup>(٧)</sup>)، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد. فوالله ما كنتُ من دنياكم تبراً<sup>(٨)</sup>)، ولا ادخرتُ من غنائمها وفراً<sup>(٩)</sup>)، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حُزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه إلا كقوت أتانٍ دبيرة، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقرة...<sup>(١٠)</sup>.

لو تأملنا هذا الخطاب في التعبير القرآني في قوله تعالى: *حَيَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ* لتبين أنه جاء للمؤمنين خاصة بدلالة *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا* في نهيهم عن استئنان السنن وإيجاد في الإسلام ما ليس فيه، فجاء النهي عن تحريم الطيبات، والطيبات هنا الأشياء المحللة، وتنضوي تحت هذا العنوان اللذات التي تُعدُّ من نوازع النفس الحسية والمعنوية التي تميل إليها القلوب، فيحرمها المؤمن على نفسه مع عدم وجود نهي عليها<sup>(١١)</sup>)، وهنا تدخل في باب الترهيب الذي كان

حقاً تتداخل مع حالات الترهّب في الأديان التي نسخها القرآن الكريم، وجعل من الإسلام المحمدي وثوابته منطلقاً للسير والسلوك في العبادة قولاً وعملاً، فكان بيان الإمام الحسن المجتبي (ع) على نحو المصداق في عبادة أمير المؤمنين (ع) لهو أقرب إلى تهذيب النفس بالتقرب إلى الله في العبادة.

لو نظرنا إلى هذه الآية بعيداً عن سبب النزول لاحتمل النهي في هذا السياق عدّة وجوه منها: ((أن يريد لا تحرموها على غيركم بالفتوى والحكم. ومنها: أن يريد لا تجروها مجرى المحرمات في شدة الاجتناب. ومنها: أن يريد لا تلتزموا تحريمها بنذر أو يمين. فوجب حمل الآية على جميع هذه الوجوه))<sup>١</sup> . مقتضى الحال من أن مدح القسيسين والرهبان في احترازهم عن الطيبات في الدنيا قد يوحى بترغيب المسلمين في تلك الطريقة، لذا جاء التعبير القرآني لتعديل المسار في الخطاب وأن المسلمين ليسوا مأمورين بذلك، والانقطاع عبر ((الرهبانية الكاملة توجب

يفعله أصحاب الديانات السابقة، فجاء النهي لضمان عدم التداخل مع تلك الأديان في الظواهر التي شاعت في الأوساط المتدينة آنذاك. إن تقدم ذكر الرهبان والقسيسين في هذا السياق القرآني وحصول المودة في قلوبهم للذين آمنوا قد يوحى بالمدح الإجمالي للحالات التي كانوا عليها من الترهّب في رفض الدنيا واعتزال طيباتها قال تعالى: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ [المائدة: ٨٢-٨٣]، لذا جاء التعبير القرآني موضعاً النهج الذي ينبغي أن يكون عليه المؤمن، فنلاحظ الخطاب في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَوْ دَقَقْنَا النَّظَرَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي أَرَادَ الصَّحَابَةُ الَّذِينَ ذَكَرُوا فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ لَوَجَدْنَا أَنَّهَا

خراب العالم ، وانقطاع الحرث والنسل ، وذلك يفضي إلى الفساد في الحكمة ، لا سيّما في النفوس الضعيفة.)) (١٣).

وأما أصحاب النفوس العظيمة والهمم العالية فقد اتخذوا من محاريب العبادة طريقاً للوصول إلى الله ورضاه حتى أنه من باب التلطف كان يخاطب الباري سبحانه نبيه الأكرم (ص وآله) بقوله: **يُحِطُهُ (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** وعلى هذا الأساس سار أمير المؤمنين (ع) في عبادته واختار طريق التهجد وقيام الليل وهو من الأمور المحمودة قطعاً، وبما أن المقام الذي كان فيه الإمام الحسن المجتبي (ع) في مجلس معاوية هو مقام انتقاص من شخصه العظيم ومن أبيه أمير المؤمنين (ع) ذكرهم بعبادته وكثرتها في الوقت الذي كان فيه خصومه من بني أمية ومن يحضر مجالسهم يخوضون في الغي ويسبحون في الباطل. أضف إلى ذلك قد يتوهم من أن الإسلام يقف من العبادة موقفاً سلبياً ولا يحث على كثرتها، بل على العكس الإسلام يحاول

تقنين العبادة لتصل حد الاعتدال المقرون بالتقوى، فنجد التعبير القرآني يفتح الباب أمام الطيبات من الرزق، ولكنه يجعل منها حالة مقترنة بالتقوى **وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**، فالتقوى تستلزم هي الأخرى حالة الاعتدال في النفس من جميع الجهات (١٤)، وليست العبادة هي وحدها المقصودة في هذه الآية المباركة وإنما كل الظواهر التي تكون على تماس مع بناء شخصية الفرد والمجتمع.

لو عدنا إلى إمعان النظر في هذا الشاهد القرآني **حَيَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**، وما فيه من دلالات تربوية تفضي لبناء مجتمع متماسك ينتهج الوسطية في تعاملاته بما يضمن الحقوق على مستوى الفرد والمجتمع وما الترهيب إلا حالة فردية يمكن أن تغرس في المجتمع لتكون حالة أو ظاهرة وقف منها الإسلام موقف

طبيعة لسلطان العقل شيء، وسنّ ما ليس في الإسلام شيء آخر عن طريق استحلال المحرم أو تحريم المحلل وهذه ظاهرة لم تكن في الرهبان وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، وإنما للعرب موروث أيضاً في هذا المجال ((كانت العرب تحرم من الطيبات ما لم يجرمه الله تعالى، وهي البخيرة والسائبة والوصيلة والحام، وقد حكى الله تعالى ذلك في هذه السورة وفي سورة الأنعام، وكانوا يجللون الميتة والدم وغيرهما، فأمر الله تعالى أن لا يجرموا ما أحل الله ولا يجللوا ما حرمه الله تعالى))<sup>١</sup>، فجاءت الآية المباركة لتوضح الإطار العام لتشريع الأحكام وآلياته، أضف إلى ذلك مركزية التشريع وتحديد المنهل الذي يجب أن يُستقى منه.

لو عدنا إلى الإمام الحسن المجتبي (ع) وآلية توظيف هذا الشاهد القرآني لوجدناه يركز على سبب النزول دون الخوض في تفصيلات النص القرآني، وما فيه من مداليل، أو تعضيد لقوله (ع) بشواهد أخرى يمكن أن تكون مصداقاً قرآنياً يتكئ

الاعتدال، ولا تتعارض هذه الآية المباركة مع سيرة النبي الأكرم (ص) وآله) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) من إيثار حياة الشظف التي كانوا يعيشونها في بيوتهم، ولعل من مصاديقها ما جاء في سورة الأحزاب للحث على الرضا والقناعة بتلك الحياة التي كان يعيشها النبي (ص) وآله) وتخير زوجاته للقبول بها أو يفارقهن بالإحسان قال تعالى: **حَيَا أَيْهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسْرَحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا** سورة الأحزاب: ٢٧-٢٨، هذه الآية المباركة جاءت لتراعي الوضع الاجتماعي الراهن في ذلك الوقت<sup>(١٥)</sup>، ولتخلق بيئة صالحة ومنسجمة مع طبيعة الحياة المعاشة زمن النزول المبارك، وإيجاد أواصر الترابط ما بين الإمام للأمة ورعيته. إن ترك الطيبات على المستوى الفردي كرياضة للنفس وسبيلا للوصول إلى الله بكبح جماحها وجعلها منقادة

وسمعتها الناس ووعوها أيام الدعوة المباركة.

### المحور الثاني: السبق في الإسلام

تميزت خطب الإمام الحسن المجتبي (ع) برصف الشواهد القرآنية مؤكداً على أسباب النزول ومصاديقها ولاسيما الآيات الدالة على مناقب أمير المؤمنين (ع)؛ لكون الجبهة الأموية كانت تحاول طمس هذه الصورة المشرقة في تاريخ الإسلام، وكان الإمام الحسن المجتبي (ع) يمثل منهجا في بيان أحقيته في الوراثة الشرعية لخلافة الأمة وإمامة الناس بعد أبيه (ع) عبر إثبات إمامة أبيه أمير المؤمنين (ع) وتصحيحه لمسار الأمة حين آلت الأمور إليه، وتأكيد شرعية أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، لذا نجد الإمام الحسن (ع) يدافع بضراوة عن شخص أمير المؤمنين (ع)، لا لكونه تولى إمامة الأمة في وقت كثرت فيه الفتن، وكثر الخارجون عليه، وتقاعسهم وهذه المسألة استغلتها السلطة الأموية كثيراً في تأليب رأي العامة من الناس، لذا نجد الإمام الحسن (ع) يؤكد في خطباته وكلماته

عليه في حجاجه؛ لأنَّ المقام الذي كان فيه الإمام الحسن (ع) لا يتيح له إمكانية الحجاج العقلي في بيان المنزلة وإنما طرق الشواهد التي كانت سبباً في نزولها والإفصاح عن مناقب أمير المؤمنين (ع) أوضح وأجلى لرواسب الباطل، فالخصوم كانوا مستغرقين في الباطل، وأعدوا العدة لحرهم التي أضرموها بوجه الإمام الحسن المجتبي (ع) فما كان منه إلا أن يستذكر الوقائع التي كانوا قد عاشوا أيامها، ولا مجال لتكذيبهم إياها، وأن فيهم من حضر وشهد تلك الوقائع وعاينها بنفسه، فلا مجال لتكذيبها، لأنَّ المجلس ضمَّ عددا معتدا به من الناس والإصرار على التكذيب يوجب الفضيحة واستصغار الناس لهم.

فما كان من الإمام الحسن المجتبي (ع) إلا أن يرصف الشواهد ويكتفها في مقام التذكير عبر الحجاج الذي يجعلهم شهودا فيه ومناشداً التي لا تحتمل الكذب فهو الصادق بالقول والنقل، وهذا البيان في الآية المباركة يُعدّ جزءاً من الوقائع التي عاشوا أيام نزولها وسمعوا بها

وايانا، وأولهم إلى الله ورسوله هجرة  
ولحوقا وأولهم على وجده ووسعه  
نفقة...))<sup>(١٧)</sup>.

الآية القرآنية في قوله تعالى: **وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** [الحديد: ١٠]، وفي هذا

الموضع القرآني يحاول الإمام الحسن المجتبي (ع) التأكيد على فضيلة السبق للإمام أمير المؤمنين (ع) فبعد أن شاعت مظاهر الرخاء والدعة وتصدى للأمة من لم يكن أهلاً لذلك جاء الحديث عن فضيلة المتأخرين لحوقاً بالدعوة الإسلامية، لاسيما تصدي بني أمية للحكم وتجنيدهم مدعي العلم في محاولة منهم لطمس المآثر البطولية لحملة الرسالة الأول والمضحكين بالنفس والمال، ولا سيما أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضوان الله تعالى عليها)، ومن هنا جاء رد الإمام الحسن المجتبي (ع) واضحاً جلياً لكل من

على الآيات التي ضجت بفضائله وأسباب نزولها على وجه الخصوص لتحاشي الجدل مع الأقسام التي استأجرتها بني أمية فلا مناص من المشاهد التي عاشها المسلمون وكانوا عليها شهوداً.

ومن المواقف التي طرزها الإمام الحسن المجتبي بفضائل أبيه أمير المؤمنين (ع) تتجلى في خطبة طويلة قالها حين أجمع الإمام على صلح معاوية فخرج إليه، فلما لقيه ((قام معاوية خطيباً، فصعد المنبر وأمر الحسن (عليه السلام) أن يقوم أسفل منه بدرجة، ثم تكلم معاوية، فقال: أيها الناس، هذا الحسن بن علي وابن فاطمة، رأنا للخلافة أهلاً، ولم ير نفسه لها أهلاً، وقد أتانا ليباع طوعاً. ثم قال: قم يا حسن؟ فقام الحسن (ع) فخطب فقال: الحمد لله المستحمد بالآلاء... وكان أبي سابق السابقين إلى الله (عز وجل) وإلى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقرب الأقربين، فقد قال الله تعالى: **چ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً، فَأَبِي كَانَ أَوْلَهُمْ إِسْلَامًا**

كان له لبُّ وألقى السمع وهو شهيد على تلك الأحداث التي مرت بها مراحل الدعوة الإسلامية، وفضل أهل البيت (عليهم السلام) وسبقهم الناس في الإنفاق والجهاد في سبيل الله لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً لَتَبْقَى كَلِمَاتُهُ (ع) ضماناً من عدم التحريف وحجة على الناس في بيان مصداق هذه الآية المباركة وغيرها من الآيات؛ لأنَّ الهجمة كانت قوية وشرسة تجاه أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

الجدير بالذكر أن التعبير القرآني في هذه الآية المباركة لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً يشير إلى نوع من المفاضلة ما بين السابق إنفاقاً وجهاداً وما بين اللاحق مع القطع بعدم الاستواء بينهما، وهذا المعنى عززته دلالة (لا) الداخلة على الفعل المضارع الذي يفيد معنى التجدد والحدوث جِدْلاً يَسْتَوِي، فلا وجه للمساواة بينهم في أي حال من الأحوال، وإنَّ تقادم الأيام وتبدل الوجوه لن تعفي فضلَهُ وسبقه (ع)

الذي عُدَّ مصداقاً جلياً لهذه الآية المباركة. المعيار في هذه المفاضلة قد يكون في الشيء الذي ((يقاس بالكم والكيف معا كالأطعمة والأشربة والألبسة والمجوهرات، فإن ثمن هذه وما إليها يقدر بالحجم والمنفعة معا، وقد يقاس بالكم فقط كأصوات الذين ينتخبون المخاتير والنواب ومن إليهم من الرؤساء، فإن صوت العالم والجاهل والعاقل والفاجر سواء بالنسبة لفوز المرشح أو فشله، وقد يقاس بالكيف فقط كالدواء حيث يقدر بأثره شفاء ووقاية. والبذل من هذا الباب فقد ينفق الإنسان على معبد - مثلاً - عشرات الألوف ولا يكون له من الأجر عند الله ما لرغيف ينقذ به جائعاً من الهلاك. ومن هنا نفى سبحانه المساواة بين من أنفق وقاتل قبل فتح مكة وبين من أنفق وقاتل بعده حيث كان المسلمون قبل الفتح في ضيق وحرَج، وكان الكافرون في سعة وقوة، أما بعد الفتح فعلى العكس، ضعف الكفر، وقوي الإسلام.))

وتقديره: وعد الله كلاً الحسنى .  
ولا يخفى ما للدلالة الإفراد في التعبير  
القرآني في (مَنْ أَنْفَقَ) و(وَقَاتَلَ) وما  
فيها من ثبوت الصفة في مصداق  
الآية الكريمة الذي أشار إليه  
الإمام الحسن المجتبي (ع) في أبيه  
أمير المؤمنين (ع) وفضله، صف إلى  
ذلك التعبير بالماضي **جَدَّ أَنْفَقَ مَنْ**  
**قَبْلَ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ** **جَدَّ** الموحى بشدة  
المعاناة وقسوة الظروف التي مرت  
بها الدعوة الإسلامية، فكان المقام  
مقاماً للتذكير بالرجوع لسنوات  
المحنة وأيام العُسْر، فجاء التعبير **جَدَّ**  
**أَوْلَيْكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً** وهنا تأتي جمالية  
التعبير بوساطة الالتفات في الخطاب  
عبر صيغة الجمع في (أولئك) إمّا  
لتعظيم حال المخاطب، أو لإدخال  
جماعة من الصحابة الكرام الذين  
انتهجوا نهج أمير المؤمنين (ع) في  
السيرة والموقف، وبهذا المعنى صح  
أن يكونوا ضمن دائرة المفاضلة في  
السبق على من هو لاحق عليهم  
بعد الفتح **الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ**  
**وَقَاتَلُوا**.

في هذه الآية ما يرد كذب معاوية  
أمام الناس أيضاً حين قال: ((هذا

، والفرق واضح وجلي ما بين  
إخوان الضيق وإخوان الرخاء،  
فلكل منهما أجرٌ)) (ولكن تبعاً لما  
ترك بذله من آثار، فقد تكون  
الصدقة بدرهم واحد أعظم  
أجراً عند الله من الصدقة بألف  
إذا صادف الدرهم معدة جائعة،  
وأعطى الألف لمن يتركه ميراثاً  
للأبناء والأصهار))<sup>(١٩)</sup>.

الآية المباركة في كل من الأمرين وعد  
وتطمين بثواب جزيل وفضل عميم،  
إلا أن هذا الثواب متفاوت بحسب  
الدرجة والتقسيم الذي أشارت إليه  
الآية الكريمة مع ذلك فلا يخرج  
كل من الطرفين من **وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ**  
**الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** **جَدَّ**  
وقد قرئ (كلاً) بالرفع على الابتداء  
'، أي: وكل وعد الله الحسنى، وعُدي  
الفعل إلى ضميره بتقدير: وكل وعده  
الله الحسنى، والرفع على الابتداء لا  
يرقى إلى دقة المعنى لما في النصب  
على المفعولية وتعالقه بمعموله؛  
لما فيه من قوة الدلالة، والإيجاء  
عند التعدية في (وعده)، وتقديم  
مفعولة عليه في (كلاً) إيذاناً بنوع  
من التشويق، والترغيب في المنزلة

الحسن بن علي وفاطمة رأنا للخلافة أهلاً...))، فجاءت هذه الآية في خطاب الإمام الحسن (ع) بما يفضح ذلك الزعم، وحسبك هذا التفاوت، فالقرآن الكريم يشيد بذلك الإنفاق، وبذل النفس في الجهاد في سبيل الله وماله من أجر عظيم عند الله، وهذه المنزلة تحاكي سيرة أمير المؤمنين (ع) في أيام العسرة، وقلة الناصر، من هنا جاء تذكير الإمام الحسن المجتبي (ع) بتلك السيرة العطرة التي خلدها القرآن الكريم في هذا الموضع من سورة الحديد.

عند إمعان النظر في الآية المباركة لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً فقد لا يراد من الإنفاق هنا بذلك المال، لكون المسلمين كانوا في وضع عسير جداً، ما خلا إنفاق أم المؤمنين خديجة (رضوان الله تعالى عليها)، فقد تكون هي المرادة في الآية المباركة، ويكون أمير المؤمنين (ع) مصداقاً آخر لهذه الآية بدلالة قول الإمام الحسن المجتبي (ع)، أو قد يكون المراد من (أنفق) بذل النفس،

وتكون أوكد في البيان على المعنى، بل هي أعظم النفقة وأشدها على النفس بدلاً إذا ما نسبت لأمير المؤمنين (ع) مثلما صرح به الإمام الحسن المجتبي (ع) فتكون أظهر لما تحقق من أمير المؤمنين (ع) عند فدائه للنبي (ص وآله) في موطن عديدة بدءاً من يوم المبيت في مكة ومروراً بمعارك الإسلام وغزواته، ولا سيما يوم أحد الذي عُدَّ من أروع المواقف وأنبهها، إذ ضرب أمير المؤمنين (ع) أسمى آيات التضحية والفداء للحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد يراد من دلالة العطف في القتال على الإنفاق التخصيص في مضمون النفقة چمنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً فتكون في نفقات الجهاد خاصة، والمنفقين فيه ((وكان الآية مسوقة لبيان أن الانفاق في سبيل الله كلما عجل إليها كان أحب عند الله وأعظم درجة ومنزلة))، ولكن المقام هو مقام أفضلية لا الحث على نفقات معينة ((وقد صرح (ص وآله) وسلّم أيضاً بفضل

السابق على اللاحقين، لا بل حتى على من عاصروه وهذه إشارة قوية وحجة دامغة في فضل وفضيلة أمير المؤمنين (ع) على نحو المصداق في سبب النزول، وفضيلة من يترتب عليه هذا الأثر، وتكون الآية بعد ذلك مفهوماً قد ينضوي تحته أكثر من شخص، ولكنها في تحديد المصداق الأولي أظهر وأوجه.

إضافة إلى أن هناك إشارة تجدر الوقوف عندها مفادها تفضيل الإنفاق على الجهاد في سبيل الله في بعض المواقف ((ويدللون على صحته من خلال ما ورد في الآية أعلاه من تقديم الإنفاق المالي على الجهاد باعتبار أن الوسائل والمقدمات والآلات الحربية، تهيأ بواسطة. إلا أن مما لا شك فيه أن بذل النفس والتهيؤ للشهادة أعلى وأفضل من الإنفاق المالي. وعلى كل حال، بما أن القسمين (الإنفاق والجهاد) مشمولان بعناية الحق تعالى مع اختلاف الدرجة، فيضيف في النهاية وعد الله الحسنی. وهذا تقدير لعموم الأشخاص الذين ساهموا في (هذا الطريق))<sup>(٢٥)</sup>، وقد لا يبدو من

الأولين بقوله: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ<sup>(٢٢)</sup> أحدهم ولا نصفه))<sup>(٢٣)</sup>. ولا يخفى ما للتقديم والتأخير من أهمية في التعبير القرآني في التركيز على مضامين قد تكون خافية، فيأتي التقديم ليظهر ملاحظ غاية في الدقة والروعة ويعطيها زخماً فنياً وجمالياً، ومن هنا يمكن أن نقف عند التقديم في (منكم) على فاعل (يستوي) والذي هو (من)<sup>(٢٤)</sup> في جَلَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ وهذا التقديم ينقل الخطاب القرآني من ظاهرة العموم التي قد تتبادر إلى الذهن في (من أنفق) إلى التخصيص والمباشرة في الخطاب، لبيان أفضلية من أنفق وقاتل عليكم أيها المخصوصون في الخطاب المتقدم الذكر، ولو جاء التعبير على النسق التركيبي كأن يقال: لا يستوي من أنفق منكم من قبل الفتح وقاتل، لكان في الخطاب ملمح دلالي ينضوي تحت الإرشاد والتوجيه، الحث أيضاً على الإنفاق والقتال وهذا غير مراد، وإنما التعبير القرآني يركز على حالة معينة وهي عدم المساواة وبيان أفضلية

هذا النسق القرآنى فى تقديم الإنفاق على الجهاد بالأفضلية؛ لأنّ المقام هو مقام حث على البذل لا الجهاد قال تعالى: وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ هَذَا مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى تذكير المسلمين بأفضلية السابق نفقة و جهاداً فى أيام العُسر والفاقة الحقيقية التى عاشها المسلمون فى ذلك الوقت وهذا المقام ليس مقام حرب أو حث على الجهاد فى سبيل الله، وإلاّ لكانت الأفضلية للجهاد قطعاً، لذا جاء التعبير بتقديم الإنفاق على الجهاد فى هذا الملحظ من باب الأهميّة بعنصر النفقة لا الأفضلية.

أيضاً قد يتبادر إلى الذهن من أنّ مراد الآية المباركة العموم فى كل من أنفق وجاهد لما فى دلالة (مَنْ) من إمكانية العموم فى الدلالة، إلاّ أن سياق الآية المباركة يأبى ذلك ويحاكي مصداقاً أشار إليه الإمام الحسن المجتبى (ع) الذى جعل من أمير المؤمنين (ع) مصداقاً لها، ولو تأملنا من حاول جاهداً

أن يغيروها للخليفة أبى بكر، لأبت الوقائع والأحداث أن تكون له ولكان بها أولى الخليفة عثمان بن عفان الذى نقلوا من أنه ساهم فى تجهيز جيش العسرة. والإنفاق فى هذه الآية المباركة إما أن يكون فى مكة ولم يجهز النبى الأكرم (ص وآله) جيشاً، وكان بهال أم المؤمنين خديجة (رضوان الله تعالى عليها) غنياً، وأمّا فى المدينة فأبو بكر وردّها فقيراً، وللشيخ المفيد (رض) كلمة بهذا الصدد وفى بيان فضل أمير المؤمنين (ع) إذ قال: ((أما قتال أمير المؤمنين عليه السلام وظهور جهاده مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم واشتهاره فمعلوم بالاضطرار، وحاصل عليه من الآية بالإجماع والاتفاق، وليس لصاحبك قتال بين يدي النبى (ص وآله) باتفاق العلماء، ولا يثبت له جهاد بخبر ولا قرآن، ولا يمكن لأحد ادعاء ذلك له، على الوجوه كلها والأسباب، إلاّ أن يتخرص باطلا على الظن والعناد. وأمّا الإنفاق فقد نطق به القرآن لأمر المؤمنين عليه السلام فى آية النجوى بإجماع علماء القرآن، وفى

آية المنفقين بالليل والنهار، وجاء التفسير بتخصيصها فيه (ع)، ونزل الذكر بزكاته (ع) في الصلاة، وصدفته على المسكين واليتيم والأسير في: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ. وليس يثبت لأبي بكر إنفاق يدل عليه القرآن بظاهره، ولا قطع العذر به من قول إمام صادق في الخبر عن معناه، ولا يدل عليه تواتر ولا إجماع، مع حصول العلم الضروري بفقر أبي بكر، وما كان عليه من الاضطرار المانع لصحة دعوى الناصبة له ذلك، حسب ما تحرصوه في المقال، ولا فرق بين من ادعى لأبي بكر القتال مع ما بيناه ومن ادعى مثل ذلك لحسان، وبين من ادعى له الإنفاق مع ما بيناه ومن ادعى مثله لأبي هريرة وبلال))<sup>(٢٩)</sup>، فليس في هذه الآية دلالة على فضل إنسان بعينه بمجرد الادعاء له بالفضل، لأنه يحتاج أن يثبت ذلك وهو غير ثابت<sup>(٣٠)</sup>.

إن هناك من زعم أن هذه الآية چلَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً، هي ((دالة على أن أبا بكر وعمر

وعثمان وطلحة والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمن وأبا عبيدة بن الجراح من أهل الجنة على القطع والثبات، إذ كانوا ممن أسلم قبل الفتح، وأنفقوا وقاتلوا الكفار، وقد وعدهم الله الحسنى، وهي الجنة وما فيها من الثواب، وذلك مانع من وقوع معصية منهم يجب عليهم بها العقاب، وموجب لولايتهم في الدين، وحقبتهم على كل حال. فيقال لهم: إنكم بنيتم كلامكم في تأويل هذه الآية وصرّف الوعد فيها إلى أنتممكم على دعويين: إحداهما: مقصورة عليكم لا يعضدها برهان، ولا تثبت بصحيح الاعتبار. والأخرى: متفق على بطلانها، لا تنازع في فسادها ولا اختلاف، ومن كان أصله فيما يعتمد ما ذكرناه، فقد وضح جهله لذوي الألباب، فأما الدعوى الأولى: فهي قولكم إن أبا بكر وعمر قد أنفقا قبل الفتح، وهذا ما لا حجة فيه بخبر صادق ولا كتاب، ولا عليه من الأمة إجماع، بل الاختلاف فيه موجود، والبرهان على كذبه لائح مشهود، وأما الدعوى الأخيرة: وهي قولكم

إنهما قاتلا الكفار، فهذه مجمع على بطلانها، غير مختلف في فسادها، إذ ليس يمكن لأحد من العقلاء أن يضيف إليهما قتل كافر معروف، ولا جراحة مشرك موصوف، ولا مبارزة قرن، ولا منازلة كفؤ، ولا مقام مجاهد. وأما هزيمتهما من الزحف، فهي أشهر وأظهر من أن يحتاج فيه إلى الاستشهاد))<sup>(٣١)</sup>.

#### المحور الثالث: إيمانه وجهاده (ع)

في السياق ذاته من خطبة الإمام الحسن المجتبي (ع) يركز على فضيلة السبق والإيمان بالله تعالى والجهاد في سبيله، وهذا التفضيل لأمر المؤمنين (ع) لم يكن مرتجلاً، أو ينطلق من منطلقات عاطفية كنتيجة لاستذكار فضل وفضيلة أب على لسان ولده، وإنما حوادث ومواقف وثقها القرآن الكريم وحفظها له والناس عليها شهود، فجاء قول الإمام الحسن المجتبي (ع): ((فالناس من جميع الأمم يستغفرون له بسبقه إياهم الايمان بنبيه (ص وآله)، وذلك أنه لم يسبقه إلى الإيمان أحد، وقد قال الله (سبحانه تعالى): **الَسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ**

**الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ** [التوبة: ١٠٠]، فهو سابق جميع السابقين، فكما أن الله (عز وجل) فضل السابقين على المتخلفين والمتأخرين، فكذلك فضل سابق السابقين على السابقين، وقد قال الله (عز وجل): **أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** [التوبة: ١٩]، فكان أبي المؤمن بالله واليوم الآخر والمجاهد في سبيل الله حقاً، وفيه نزلت هذه الآية))<sup>(٣٢)</sup>.

لو توقفنا عند الآية المباركة من سورة التوبة في قوله تعالى: **أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**، لوجدنا مصداق هذه الآية المباركة جلياً وواضحاً في أمير المؤمنين (ع)، فضلاً عن إشارة الإمام الحسن المجتبي (ع) في سبب نزولها، لرسوخ إيمانه وعظيم جهاده في سبيل الله والذي لا يختلف عليه اثنان ممن نال شرف العلم والمعرفة، فقد عني في قوله تعالى: **مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ**

وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِمَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (ع) ، يروى ((أن شيبه و العباس كان يفتخر كل منهما على صاحبه، وبينما هما يتفاخران إذ مر عليهما علي بن أبي طالب (ع) فقال: فيم تتفاخران؟ فقال العباس: حُييت بما لم يُحب به أحد وهو سقاية الحاج. فقال شيبه: إني أعمر المسجد الحرام، وأنا سادن الكعبة. فقال علي (ع): على أي مستحي منكما، فلي مع صغر سني ما ليس عندكما. فقالا: وما ذاك؟! فقال: جاهدت بسيفي حتى آمنتما بالله ورسوله (ص وآله). فخرج العباس مغضبا إلى النبي (ص وآله) شاكيا عليا فقال: ألا ترى ما يقول؟ فقال النبي (ص وآله): أدعو لي عليا فلما جاءه علي قال (ص وآله): لم كلمت عمك العباس بمثل هذا الكلام؟ فقال (ع): إذا كنت أغضبته، فلما بينت من الحق، فمن شاء فليرض بالقول الحق ومن شاء فليغضب. فنزل جبرئيل (ع) وقال: يا محمد (ص وآله)، إن ربك يقرؤك السلام ويقول: أتل هذه الآيات:

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ) (٣٤).

إن المكانة التي تتمتع بها مكة المكرمة في ذلك الوقت جعلت من خدامها وسدنتها يحظون بمنزلة عند العرب بصورة خاصة، و((أن منصب «سقاية الحاج» قبل الإسلام كان من أهل المناصب، وكان يضاوي منصب سدانة الكعبة، وكانت حاجة الحاج الماسة في أيام الحج إلى الماء في تلك الأرض القاحلة اليابسة المرمضة التي يقل فيها الماء، وجوها حار أغلب أيام السنة، وكانت هذه الحاجة الماسة تولى موضوع «سقاية الحاج» أهمية خاصة، ومن كان مشرفا على السقاية كان يتمتع بمنزلة اجتماعية نادرة، لأنه كان يقدم للحاج خدمة حياتية. وكذلك «عمارة المسجد الحرام» أو سدانته ورعايته، كان لها أهميته الخاصة، لأن المسجد الحرام حتى في زمن الجاهلية كان يعد مركزا دينيا، فكان المتصدي لعمارة المسجد أو سدانته محترما. ومع كل ذلك فإن القرآن يصرح بأن الإيمان بالله وبالأيام الآخر والجهاد في سبيل

الله أفضل من جميع تلك الأعمال  
وأشرف)) (٣٥).

الإمام الحسن المجتبي (ع) كان ينطلق في خطاباته من تثبيت المواقف قرآنيًا عبر رصف الشواهد القرآنية مبرزاً الجانب المهم فيها وهو سب النزول سواء أكانت هذه الآيات مصداقاً يَدْرَأُ بوساطتها التهم والشبهات التي أشاعها بنو أمية عن أمير المؤمنين (ع) وأهل بيته، أو في إحقاق حق عبر بيان أحقيته في إمامة الأمة، وفضله على الناس، فنجد الإمام الحسن المجتبي (ع) يأتي بالمصايق القرآنية النازلة بحق أبيه أمير المؤمنين (ع)، أو الآيات التي تعدُّ مفاهيم عامة تنطبق عليه وعلى غيره من المؤمنين، ليس هذا فحسب وإنما ذهب الإمام الحسن (ع) إلى التركيز في خطبته على فضل أبيه أمير المؤمنين (ع)، ومنزلته العظيمة عند الله في القرآن الكريم، كنتيجة ردة فعل تجاه الحرب التي أعلنها بنو أمية على أهل البيت (عليهم السلام)، والمؤمنين في ذلك الوقت، والتي تمثلت في طمس الكثير من الحقائق التي صاحبت

انتشار الدعوة الإسلامية وفضل رجالها الأوائل، واستعمال شتى الطرق لتغييب أئمة أهل البيت وأتباعهم عن الساحة الإسلامية، إلا أن القرآن الكريم سجل لأمر المؤمنين (ع) في هذه الآية المباركة، وفي غيرها ما بقي نوراً يُستضاء به، ولا سيما في قوله تعالى: أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ وَالإِيمَانُ هُوَ مِيزَانُ الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ (سبحانه وتعالى) خصوصاً إذا كان مقترناً بجهاد في سبيل الله، أمّا غيرها من الوظائف والمناصب فكثيراً ما قادت أصحابها إلى المفاسد والمهالك چلَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ مع عظيم التفاوت في الجزاء والثواب قال تعالى: چ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ وَأَيْنَ تَقَعُ سِقَايَةُ الْحَاجِّ وَعِمَارَةُ الْمَسْجِدِ مِنَ الْإِيمَانِ الرَّاسِخِ وَالتَّفَانِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَبذَلِ الْفَنَسِ وَالمَالِ

«؟! ومن هنا نلاحظ التعبير القرآني يحدد طرفين في التسوية مع إنكار أن يكون فضلها عند الله متساوياً جلاً يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ۚ، للبون الشاسع بينها، فهل يمكن أن يتساوى عمل مؤمن مع عمل غيره من دون إيمان بالله؟! فلا يمكن المقارنة بينهما قطعاً ولذا جاء توظيف هذا النص القرآني في خطاب الإمام الحسن المجتبي (ع) لتأكيد فضل أمير المؤمنين (ع) وسبقه إيماناً وجهاداً في الله، وإن كانت هذه الآية المباركة قد تشير إلى إيمان كل من الطرفين أصحاب السقاية والعمارة، وما بين مَنْ آمَنَ بالله وجاهد في سبيله في أثناء النزول مع الإنكار؛ للبون الشاسع بين الطرفين في هذه المعادلة ((بل يدل ذكر نفس السقاية والعمارة من غير ذكر صاحبها على أن صاحبيها كانا من أهل الايمان عند التسوية فلم يذكرنا حفظاً لكرامتهما وهما مؤمنان حين الخطاب ووقاية لهما بالنظر إلى التعريض الظاهر الذي في آخر الآية من أن يسميا ظالمين.

بل يدل قوله تعالى في الآية التالية في مقام بيان أجر هؤلاء المجاهدين

في سبيل الله عن إيمان: ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ عَلَىٰ أَنْ طَرَفِي التَّسْوِيَةِ فِي قَوْلِهِ: ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ ۚ الْآيَةُ كَانَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَأَنَّ أَهْلَ الْطَرَفَيْنِ وَهُوَ الَّذِي آمَنَ وَجَاهَدَ كَانَا مَنْ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ، وَأَهْلَ الْطَرَفِ الْآخَرَ أَسْلَمَ وَلَمْ يَهَاجِرْ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْوَجْهَ فِي ذِكْرِهِ تَعَالَىٰ أَوْ لَا الْإِيْمَانَ وَالْجِهَادَ فِي الطَّرَفَيْنِ ثُمَّ إِضَافَةَ الْهَجْرَةِ إِلَىٰ ذَلِكَ عِنْدَ مَا أُعِيدَ ثَانِيًا، وَقَدْ ذَكَرَ تَعَالَىٰ السَّقَايَةَ وَالْعِمَارَةَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرَ وَلَمْ يَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ شَيْئًا لَا أَوْلَا وَلَا ثَانِيًا فَمَا هَذِهِ الْقِيُودُ بِلَاغِيَّةٍ فِي قَوْلِهِ الْفَصْلِ. وَهَذَا كُلُّهُ يُؤَيِّدُ مَا وَرَدَ فِي سَبَبِ نَزُولِ الْآيَةِ أَنَّ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي الْعَبَّاسِ وَشَيْبَةَ وَعَلِيٍّ (ع) حِينَ تَفَاخَرُوا فَذَكَرَ الْعَبَّاسُ سَقَايَةَ الْحَاجِّ، وَشَيْبَةَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَعَلَىٰ الْإِيْمَانَ وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) (٣٧).

السقاية والعمارة مصدران في (سقي) و(عمر) وكل منهما يدل على الحدوث بلحاظ الإشارة إلى الفعل في السقي والعمارة وهما يسطان الضوء على عمل معين يصب في خدمة

حجاج بيت الله الحرام وهذا العمل بلحاظ الآية المباركة لا يعد شيئاً في مقابل إيمان من آمن بالله وعند هذه المقاييس ما بين دلالة المصدر في الفعل وما بين دلالة الفاعل في (من آمن) ذهب بعض العلماء إلى وجود إضمار في هذا السياق ((معلوم أن السقاية والعمارة فعل، وقوله: (من آمن) إشارة إلى الفاعل وتشبيه الصفة بالذات والفعل بالفاعل غير صحيح، ولا بد من محذوف في الكلام، وتقديره: أجعلتم أهل سقاية الحاج، أو التقدير: أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن بالله))<sup>(٣٨)</sup>، إذ لا معنى للمساواة بين عمل من الأعمال وإنسان والمقتضى في المقايسة أن تكون بين عمل وعمل، أو إنسان ذي عمل وإنسان آخر. إن التلوين في الخطاب القرآني في هذه الآية المباركة أعطى جمالية في دلالتها على المعنى وترسيخه **أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ**، فالعدول من صيغة الجمع في (جعلتم) إلى المفرد في (آمن) خلق جواً موجباً يشع بعظيم منزلة صاحب الإيمان مع عدم

إمكانية المساواة بينهما، أي ما بين مدعي الفضل بالسقاية والعمارة، وما بين الذي آمن بالله، إضافة إلى ما للاستفهام الإنكاري من دلالة قوية في عدم المساواة، إذ لم يعط ولو فسحة قليلة للمساواة لإنكاره عليهم قولهم بالفضل، فسمت وارتقت دلالة الأفراد في الذي آمن إلى مقام لا يتساوى معه عمل من الأعمال أو جماعة من الجماعات وهو ملمح سياقي في غاية الدقة والروعة. وهنا الاستفهام لم يكتف بنفي المجازاة ما بين الطرفين وتساويهما، بل أخذ بعداً أوسع يدخل في باب النهي أي: لا تجعلوا<sup>(٣٩)</sup>، وكأن باب المساواة مرفوض؛ لأنّ المقياس عند الله هو الإيمان وبدونه تكون الأعمال لا قيمة لها. بعد أن حددت الآية المباركة المصادق في سبب النزول -في أمير المؤمنين (ع)- جاءت الآية اللاحقة لتحديد مفهوماً على نحو الوصف في قوله تعالى: **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** [التوبة: ٢٠]، ودلالة

العموم هنا يمكن أن نستشفها أيضاً عن طريق الصيغة الإفرادية في (من آمن) والجمع في (الذين آمنوا) وهذا العدول في الصيغة حمل سمة البشارة للمؤمنين الذين دخلوا ضمن هذا الوصف وهو الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس، قال تعالى: **يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ [التوبة: ٢١-٢٢].**

المحور الرابع: النشأة وبداية التصوير

تنوعت إشارات الإمام الحسن المجتبي (ع) في توجيه النصوص القرآنية، فلم يكتف (ع) من بيان أسباب النزول في الآيات التي تظهر مناقب أمير المؤمنين (ع) وتشير إلى فضله وسبقه، وإنما أخذ يبين جوانباً تفسيرية سلط الضوء على النشأة وبداية تصوير الإنسان محيداً السمة العمومية للنص القرآني وتخصيصها فيه، وفي آية أمير المؤمنين (ع)، وأخيه الإمام الحسين (ع) إذ قال ((قال الحسن

بن علي (ع) في قوله تعالى: **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ [الإنفطار: ٨]** قال: صور الله عز وجل علي بن أبي طالب في ظهر أبي طالب على صورة محمد، فكان علي بن أبي طالب أشبه الناس برسول الله، وكان الحسين بن علي أشبه الناس بفاطمة، وكنت أنا أشبه الناس بخديجة الكبرى)) (٤٠). هذه الآية المباركة التي فرها الإمام الحسن المجتبي (ع) لم تكن من الآيات التي اختص بها أمير المؤمنين (ع) فحسب، وإنما شملت الحسن والحسين (عليهما السلام) على نحو التقابل في الشبه، فأمر المؤمنين (ع) شبيه المصطفى (ص وآله)، والإمام الحسن المجتبي (ع) شبيه أم المؤمنين خديجة (رضوان الله تعالى عليها)، والإمام الحسين (ع) شبيه الزهراء (عليها السلام) وهذا الشبه قد يكون من باب الاتفاق في الصفات الوراثية لقول الإمام الحسن (ع) فكان علي بن أبي طالب أشبه الناس برسول الله (ص وآله). فقد حاول الإمام الحسن المجتبي (ع) في هذا الملمح التأويلي للآية المباركة في أي صورة ما شاء ركبك أن يركز

أكثر فأكثر على الخصال الوراثية في أمير المؤمنين (ع) التي تلتقي مع النبي (ص وآله) ناهيك عن الأمور التي ورثها منه في حياته وفي أثناء صحبته للنبي (ص وآله) من علم وحلم وحكمة وغيرها من صفات المروءة والشجاعة مما لا يحصيها عادٌ، فصار بحق نفس رسول الله (ص وآله) قال تعالى: **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** [آل عمران: ٦١].

هذه الوقفة القرآنية من الإمام الحسن المجتبي (ع) في تأويل الآية المباركة في أيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ شخّصت نطائر في الصورة للنبي (ص وآله)، ولفاطمة (عليها السلام)، ولأمها خديجة (رضوان الله تعالى عليها)، وهؤلاء هم أمير المؤمنين (ع)، والإمام الحسن والحسين (عليهما السلام)، وكأنها معادل وراثي فصار كل من اللاحق وريثاً للسابق، فورثوا كل خصال النور في الجوانب البدنية والمعنوية،

وقول الإمام الحسن المجتبي (ع) في قوله تعالى: **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** من باب تخصيص الدلالة في الآيات المباركة الدالة على العموم، فيمكن أن تكون هذه الآية دلالتها عامة مع إمكانية تعدد مصاديقها فقد روي عن الإمام الرضا (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص وآله): ((أنه قال لرجل: ما ولد لك؟ قال: يا رسول الله! وما عسى أن يولدي، إما غلام، وأما جارية. قال: فمن يشبه؟ قال: يشبه أمه وأباه، فقال (ص وآله): لا تقل هكذا إن النطفة إذا استقرت في الرحم، أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم. أما قرأت هذه الآية في أيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ أي: فيما بينك وبين آدم)) (٤١).

وما روي عن الإمام الصادق (ع): ((لو شاء ركبك على غير هذه الصورة. والمعنى أنه سبحانه يقدر على جعلك كيف شاء، ولكنه خلقك في أحسن تقويم حتى صرت على صورتك التي أنت عليها، لا يشبهك شيء من الحيوان)) (٤٢).

من هنا يمكن أن تكون إشارة

فيها من ألطاف ومواهب وقدرات إلهية، لتجسم أمامه عالماً من العلم والقدرة واللطف والكرم الإلهي. عطاء رباني قد شغل العلماء آلاف السنين بالتفكير والبحث والتأليف، ولا زالوا في أول الطريق . . . وفي المرحلة الثالثة: يكون التعديل بين « القوى » و « الأعضاء » وتحكيم الارتباط فيما بينها. وبدن الإنسان قد بني على هذين القسمين المتقاربين، ف: اليدين، الرجلين، العينين، الأذنين، العظام، العروق، الأعصاب والعضلات قد توزعت جميعها على هذين القسمين متجانس ومتربط. هذا بالإضافة إلى أن الأعضاء في عملها يكمل بعضها لبعض الآخر، فجهاز التنفس مثلاً يساعد في عمل الدورة الدموية بدورها تقدم يد العون إلى عملية التنفس، ولأجل ابتلاع لقمة غذاء، لا تصل إلى الجهاز الهضمي إلا بعد أن يؤدي كل من: الأسنان، اللسان، الغدد وعضلات الفم دوره الموكل به، ومن ثم تتعاضد أجزاء الجهاز الهضمي على إتمام عملية الهضم وامتصاص الغذاء، لينتج منه القوة

الإمام الحسن المجتبي (ع) وتقنين الدلالة إلى الجامع المشترك في الشبه على مستوى الأعضاء، ومنها ما يُعد جامعاً مشتركاً بين أفراد البشر و((المميزة لها من غيرها كاليدين والرجلين والعينين والرأس والبدن واستواء القامة ونحوها فكل ذلك من عدل بعض الأجزاء ببعض في التركيب قال تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [التين: ٤] والجميع ينتهي إلى تدبير الرب الكريم لا صنع للإنسان في شيء من ذلك))<sup>(١)</sup>. ومن منطلق عمومية الدلالة في هذه الآية المباركة فقد طرحت جانباً مهماً من جوانب خلق الإنسان الأربعة هي: ((أصل الخلقة، التسوية، التعديل، ومن ثم التركيب. ففي المرحلة الأولى: يبدأ خلق الإنسان من نطفة في ظلمات رحم الام. وفي المرحلة الثانية: مرحلة « التسوية والتنظيم » وفيها يقدر الباري سبحانه خلق كل عضو من أعضاء الإنسان بميزان متناهي الدقة، فلو أمعن الإنسان النظر في تكوين عينه أذنه أو قلبه، عروقه وسائر أعضائه، وما أودع

اللازمة للحركة والفعالية . . . وكل ما ذكر، وغيره كثير، قد جمع في كلمة قصيرة رائعة . . . فعدلك. وقيل: (عدلك) إشارة إلى اعتدال قامة الإنسان، وهو ما يمتاز به عن بقية الحيوانات، وهذا المعنى أقرب للمرحلة القادمة ولكن المعنى الأول أجمع. وفي المرحلة الرابعة: تكون عملية « التركيب » وإعطاء الصورة النهائية للإنسان نسبة إلى بقية الموجودات))<sup>(٤٤)</sup>.

مع ما في الآية المباركة من دلالات وإشارات تسلط الضوء على عظيم الخلق للإنسان وجعله آية من آيات قدرة الله في التصوير والنشأة وما بعدها وإظهار الجنبه الوراثية بتجليات القادر الخالق في الإرادة والتكوين، إلا أن هناك من يتأول في هذه الآية المباركة ويحملها على معنى الوعيد والتهديد للإنسان، ففي أي صورة ما شاء ركبك قد يحتمل هذا التركيب تركيباً قبيحاً أو حسناً أو مشوهاً، أو سليماً<sup>(٤٥)</sup>، وبهذا المعنى لا تكون (ما) في قوله تعالى: في أي صورة ما شاء ركبك، مزيدة وإنما تحمل دلالة الشرط والجزاء،

فيكون المعنى: في أي صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك<sup>(٤٦)</sup>. وفيما يتعلق بهذه الآية المباركة ملامح دلالية قد لا تختلف كثيراً على مستوى القراءات، فعلى سبيل التمثيل قراءة (عدلك) في التخفيف، والتي عليها القرآن صرفك إلى أي صورة ما شاء من حسن، أو قبح وفي التشديد حرف (العدل) جعلك معدل الخلق معتدلاً<sup>(٤٧)</sup>، إلا أن في دلالة التشديد المكاثرة والعناية في حُسن الخلق والاعتدال. وللتركيب جوانب دلالية وجمالية في التعبير القرآني، فزيادة (ما) في البنية التركيبية للآية المباركة جفي أي صورة ما شاء ركبك أعطت التعبير زخماً توكيدياً في غاية الكمال والقدرة الإلهية، فالمعنى يكون: في أي صورة شاء ركبك<sup>(٤٨)</sup>، وعدم ربط الآية بسابقتها بعاطف كأن يكون (الواو) جعل من النص نسيجاً متماسكاً يتمحور حول كمال الصورة وتعديلها، وما بين مشيئة الله وقدرته التي تجلت في الصورة التي عليها الإنسان وكيفية تركيبها، ضف إلى ذلك (أي) وما فيها من دلالة على التعجب، والتعظيم في

إشارة إلى عظمة الخالق لذا يكون المعنى: فعدلك في صورة عجيبة، وركبك ما شاء من التركيب الحسن<sup>(٤٩)</sup>.

### الخلاصة:

لا يختلف اثنان على المظلومية التي لحقت بأهل البيت (عليهم السلام) لاسيما أمير المؤمنين وولده الحسن المجتبي (عليهما السلام)، فنسج الوضّاعون أباطيل من شأنها أن تقلل من شخصية الإمام الحسن المجتبي (عليهم السلام) وتطعن في حصافة راية مرة، وأخرى تحاول الخدش بسيرته الغراء، إلا أن شمس الحقيقة لا يمكن أن يحجبها غربال الدس والتضليل، فبعد التدقيق في أمهات الكتب وعبر النص الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يمكننا أن نبين العلاقة الوثيقة ما بين هذين الإمامين (عليهما السلام) والتي مثلت وحدة الدور والهدف، ولعل من أبرز نتائج هذا البحث ما يلي:

يحاول الإمام الحسن المجتبي إظهار مناقب أبيه أمير المؤمنين في شتى الميادين وفي أي مجلس تتاح له

الفرصة أن يتحدث فيه عن الحقائق القرآنية التي ورد فيه تفضيل لأبيه أمير المؤمنين (عليهم السلام).

تسليط الضوء على عبادة أمير المؤمنين (عليهم السلام)، وشدة زهده وتنسكه، واعتزاله للطيبات من باب رياضة النفس، واقتفاء أثر النبي الأكرم (ص وآله)، في العبادة والتهجد.

يذكر الناس بأن أمير المؤمنين (عليهم السلام)، هو أول الناس إسلاما وإيماناً، وهو الأحق بالإتباع وإليه لا بد أن تكون قيادة الأمة وللحسن المجتبي (عليهم السلام) من بعده، ودحض قول القائل بأن بني أمية أهل لتولي شؤون المسلمين.

لم يُسَلِّم الإمام الحسن المجتبي (عليهم السلام)، لظواهر القرآن والاحتكام الى أسباب النزول فقط وإنما كان له تأويل في تخصيص الدلالة العامة للآية المباركة في قضية النشأة وبداية التصوير.

يركز الإمام الحسن المجتبي (عليهم السلام) على أسباب النزول في بعض الآيات القرآنية؛ من باب التذكير بفضايا أمير المؤمنين (عليهم

### الهوامش:

- (١) ومن جملة الافتراءات ما يروي الرواة: من أن علياً مر بابنه الحسن وهو يتوضأ، فقال له: أسبغ الوضوء يا حسن، فأجابه الحسن بهذه الكلمة المرة: " لقد قتلتكم بالأمس رجلاً كان يسبغ الوضوء "، فلم يزد على أن قال: لقد أطال الله حزنك على عثمان". وفي نص آخر للبلاذري: " لقد قتلت رجلاً كان يسبغ الوضوء. ينظر: الحياة السياسية للإمام الحسن (عليه السلام)، السيد جعفر مرتضى العاملي: ١٧٦.
- (٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ١٨٥.
- (٣) الاحتجاج: الشيخ الطبرسي: ١ / ٤٠٧، وينظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٧٦.
- (٤) ينظر: تفسير القمي: ١ / ١٧٩، مناقب آل أبي طالب: ١ / ٣٩٦، وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢٣ / ٢١٣، سبل السلام، محمد الصنعاني: ٣ / ١٧٧، عيون الحقائق في تنمة الحدائق الناضرة، الشيخ حسين آل عصفور: ١٨٩ / ٢.
- (٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٧ / ١٢، وتفسير الفخر الرازي: ٧٠ / ١٢.
- (٦) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١٥١ / ٧ (طيب).
- (٧) الطمر: بالكسر الثوب الخلق.
- (٨) التبر فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ.

- (٩) الوفير المال. (٢٤) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٣٤٩/٤.
- (١٠) نهج البلاغة: ٤٤٧-٤٤٨/٣.
- (١١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣١/١٨.
- (١٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧/٤.
- (١٣) تفسير مقتنيات الدرر، الطهراني: ٤/٤٠٥/٣.
- (١٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي: ٤/١٣٤.
- (١٥) ينظر: التفسير الحديث، محمد عزة دروزة: ٣/٢٢١.
- (١٦) تفسير الفخر الرازي: ١٢/٧١.
- (١٧) الأمل، الشيخ الطوسي: ٥٦١-٥٦٣، وينظر: حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني: ٢/٧٣-٧٤.
- (١٨) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية: ٧/٢٤٣٢٤٢٠.
- (١٩) التفسير المبين، محمد جواد مغنية: ٧٢٠.
- (٢٠) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٩/٥٢١، وتفسير مجمع البيان: ٩/٣٨٦.
- (٢١) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ١٩/١٥٣.
- (٢٢) المدقيل: ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأها.
- (٢٣) تفسير مقتنيات الدرر: ١١/٤٦.
- (٢٤) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٣٤٩/٤.
- (٢٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣١/١٨.
- (٢٦) ينظر: الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي: ٣/١٠٤.
- (٢٧) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ١٢/٢٢.
- (٢٨) ينظر: الصراط المستقيم: ٣/١٠٤.
- (٢٩) الإفصاح، الشيخ المفيد: ١٦٠-١٦١.
- (٣٠) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٩/٥٢٣.
- (٣١) تفسير القرآن المجيد، الشيخ المفيد: ٥١٧.
- (٣٢) الأمل، الشيخ الطوسي: ٥٦٣، وينظر: حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني: ٢/٧٣-٧٤.
- (٣٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢/٤٠، والكافي، الشيخ الكليني: ٨/٢٠٤، وتفسير القمي: ١/٢٨٤، وأسباب نزول الآيات، الواحد النيسابوري: ١٦٤.
- (٣٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٦٤/٥.
- (٣٥) نفسه: ٥/٥٦.
- (٣٦) ينظر: التفسير الكاشف: ٤/٢١.
- (٣٧) الميزان في تفسير القرآن: ٩/٢٠٤-٢٠٥.
- (٣٨) تفسير مقتنيات الدرر: ٥/١٢٠، وينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٥/١٩٠، وزبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني: ٣/٨٩.
- (٣٩) ينظر: تفسير مجمع البيان: ٥/٢٨.
- (٤٠) مناقب آل أبي طالب: ٣/١٧٠، وينظر:

- بحار الأنوار: ٣١٦/٢٤.
- (٤١) تفسير مجمع البيان: ٢٨٧/١٠.
- (٤٢) نفسه والصفحة نفسها.
- (٤٣) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/٢٢٥..
- (٤٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٨٧-٤٨٦/١٩..
- (٤٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، ابن عطية الأندلسي: ٤٤٧/٥.
- (٤٦) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ٨١/٣١.
- (٤٧) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٩١/١٠.
- (٤٨) ينظر: تفسير مجمع البيان: ٢٨٥/١٠.
- (٤٩) ينظر: زبدة التفاسير: ٣٥٧/٧، وتفسير البحر المحيط: ٤٢٨/٨.
- ثبت المصادر:**
- القرآن الكريم
- الإحتجاج، الشيخ الطبرسي (٥٤٨هـ)، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م
- أسباب نزول الآيات، الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، ١٣٨٨ - ١٩٦٨ م.
- الإفصاح، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.
- الأمالي، الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ)، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.
- الإمام الحسن في محنة التأريخ، عايذة عبد المنعم طالب، دار الرسول الأكرم (ص وآله)، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، قسم الترجمة والنشر لمدرسة الإمام أمير المؤمنين (ع)، قم المقدسة، (د.ط)، (د.ت).
- بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)، دار الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م.
- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسيني البحراني (١١٠٧هـ)، تقديم: محمد مهدي الآصفي، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، (د.ط)، (د.ت).
- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم المقدسة - إيران، (د.ط)، ١٤٠٩هـ.
- تفسير ابن زمنين، ابن أبي الزمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣ - ٢٠٠٢ م.

- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ود. زكريا عبد المجيد، ود. أحمد النجولي الجمل، قرّضه: د. عبد الحّي الفرماوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م
- تفسير الفخر الرازيّ المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيباً محمد الرازيّ فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الريّ (ت ٦٠٤هـ) دار الفكر بيروت، ط: الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- تفسير القرآن المجيد، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: السيد محمد علي أيازي، قم المقدسة، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ.
- تفسير القميّ، علي بن إبراهيم القميّ (توفي نحو ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: السيّد طيب الموسويّ الجزائريّ، منشورات مكتبة الهدى، قم المقدسة، (د.ط)، ١٣٨٧هـ.
- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنّية، ط: الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م.
- التفسير المبين، محمد جواد مغنّية، مؤسسة دار الكتاب الإسلاميّ، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل بن سليمان البلخيّ (ت ١٥٠هـ) تحقيق: عبد الله محمود شحاته دار إحياء التراث العربيّ مؤسسة التاريخ العربيّ بيروت ط: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- تفسير مقتنيات الدرر، علي الحائري الطهرانيّ، المطبعة الحيدريّ، طهران، (د.ط)، (د.ت).
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبريّ للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبريّ ضبط وتعليق: محمود شاكراً دار إحياء التراث العربيّ، بيروت ط: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني، تحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا البروجردي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، ١٤١٤هـ.
- الحياة السياسية للإمام الحسن (ع)، السيد جعفر مرتضى العاملي، دار السيرة، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ذخائر العقبيّ، احمد بن عبد الله الطبري (٦٩٤هـ)، مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة، (د.ط)، ١٣٥٦هـ.
- زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني (ت ٩٨٨هـ)، مؤسسة المعارف

- الإسلامية، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- سبل السلام، محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني، مراجعة وتعليق: الشيخ محمد عبد العزيز الخولي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الرابعة، ١٣٧٩ - ١٩٦٠ م.
- الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي النباطي البياضي (٨٧٧هـ)، تصحيح وتعليق: محمد الباقر البهودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ط: الأولى، ١٣٨٤ هـ.
- عيون الحقائق الناظرة في تنمة الحقائق الناضرة، الشيخ حسين آل عصفور، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٤١٠ هـ.
- الكافي، الشيخ الكليني (٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط: الرابعة، ١٣٦٢ هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ) تقديم: السيد محسن الأمين العاملي مؤسسة الأعلمي بيروت (د.ط) ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، ابن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ -
- ١٩٩٣ م. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (٥٨٨هـ)، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، (د.ط)، (د.ت).
- نهج البلاغة وهو ما جمعه السيد الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) من خطب ووصايا وكتب وكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) شرح: الشيخ محمد عبده، تحقيق: فتن محمد خليل مؤسسة التاريخ العربي بيروت ط: الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم المقدسة، ط: الثانية، ١٤١٤ هـ.
- توظيف النص القرآني في خطاب الإمام الحسن المجتبي (ع)، م. م. عبد الحي عبد النبي العبادي، بحث منشور في مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد: ٣ (أ)، مجلد: ٤٣، ٢٠١٨ م، مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية.

Imam Ali, (peace be upon him) from a quranic perspective in the talk of Imam  
Al- Hassan al-Mujtaba (peace be upon him)

By: A.T. Abdulhay Abdulnabi Zaibak

**Abstract**

When you look at the books of the Hadith you may be surprised by the personality that can be crystallized by both the personality of the Emir of believers (peace be upon him), and his son Imam Hassan al-Mujtaba (peace be upon him), and the relationship between them, so we saw that we correct that

image through the Quranic verses explained by Imam Hassan al-Mujtaba (Peace be upon him), and illustrates the extent of the relationship between them to pay all the suspicions woven by the situation, and we have studied these texts extensive analytical study, while showing some aesthetic aspects of the Koranic text.